

أضواء البيان

@ 17 @ وهو دليل على عدم ردهم إلى الدنيا مرة أخرى ، وأشار إلى ذلك بقوله : {
 أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ } جواباً
 لقولهم : { أَخْذِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّسْتَجِيبُ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ
 } ، وقوله : { ذَلِكَ كُفْرًا بِآيَاتِ اللَّهِ وَإِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ
 يُشْرَكَ بِهِ تَكُونُونَ } بعد قوله تعالى عنهم : { فَأَعْتَدْنَا بِذُنُوبِنَا
 فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ } ، وقوله : { وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَیْهَا
 خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِیٍّ } ، بعد قوله : { وَمَنْ
 يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَاسِلٍ } مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا
 رَأَوْهُ الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ } ، وقوله هنا : {
 قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ } بعد قوله : { يَحْزَنُونَ } . .
 فكل ذلك يدل على عدم الرد إلى الدنيا ، وعلى وجوب العذاب ، وأنه لا محيص لهم عنه . .
 وبين في موضع آخر أنهم لو ردوا لعادوا إلى الكفر والطغيان . وهو قوله : { وَلَوْ
 رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } ، وفي هذه الآية الكريمة دليل واضح على أنه
 تعالى يعلم المعدوم الممكن الذي سبق في علمه أنه لا يوجد كيف يكون لو وجد ، فهو تعالى
 يعلم أنهم لا يردون إلى الدنيا مرة أخرى ويعلم هذا الرد الذي لا يكون لو وقع كيف يكون
 كما صرح به في قوله : { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ
 لَكَاذِبُونَ } ، ويعلم أن المتخلفين من المنافقين عن غزوة تبوك لا يحضرونها لأنه هو
 الذي ثبتهم عنها لحكمة كما بينه بقوله : { وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ
 فَثَبَّطَهُمْ } . وهو يعلم هذا الخروج الذي لا يكون لو وقع كيف يكون كما صرح به في
 قوله : { وَلَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَوْ ضَعُّوا
 خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْأُفْتِنَةَ } ، ونظير ذلك قوله تعالى : { وَلَوْ
 رَحِمْنَا هَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّالَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . .
 وبين في مواضع آخر أن اعترافهم هذا بقولهم : { جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
 وَنُودُوا } لا ينفعهم كقوله تعالى : { فَأَعْتَدْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا
 لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ } ، وقوله : { قَالُوا بَلَىٰ وَوَلَاكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ
 الْعَذَابِ عَلَيَّ } ، ونحو ذلك من الآيات . ! 7 7 ! قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكُمْ

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رُضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ { . . .
لم يفصل هنا ذلك ، ولكنه فصله في سورة (فصلت) بقوله : { قُلْ أَعَزُّكُمْ
لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ